مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة والسياحة والآثار - الجمهورية العراقية

المجلد السادس والثلاثون

العدد الأول - ٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

رئيس التحرير

أ. د. مشكور الأسدي

هيأة التحرير

مدير التحرير

د. لمعي عبدالكريم بهنام

سكرتير التحرير

محمود الطاهر

الهيأة الاستشارية

أ. د. خديجة الحديثي

أ. د. كمال مظهر

أ. د. فائز عبد سعيد

أ. د. داود سلوم

أ. د. مالك المطلبي

أ. د. يونس احمد السامرائي

الاستاذ حسن عربي

التصحيح اللغوي

سليم سلمان

نجلة محمد

الاشراف الفني والتصميم

جنان عدنان العامري

عنوان المراسلة

دار الشؤون الثقافية العامة

[illegible]

جمهورية العراق

هاتف: ٤٤٣٦٠٥٤

فاكس: ٤٤٨٧٦٠

الأسعار

العراق: ٥٠٠ دينار، الاردن: دينارات، الامارات: ٢٠ درهما، اليمن: ٢٠ ريالا، مصر: ٢ جنيهات، ليبيا: ٢ دنانير، الجزائر: ٦٠ دينارا، تونس: دينارات، المغرب: ٢٠ درهما

المشاركة السنوية

في الأقطار العربية ٥ دولارا.

في دول العالم الاخرى ١٠ دولارا.

www.dorat-ghawas.com

واردة ((المورد)) ..... د. محمد حسين الأعرجي ٤

ثقافة الشاعر العباسي الشعرية ..... د. يونس السامرائي ٤-١٨
دراسة تتابع الوحدات
الصوتية عند ابن جني ..... د. عبد المنعم ال ناصر ١٩-٢٧
علم الملاحة البحرية
عند العرب وقياساتها ..... د. صبري فارس الهيتي ٢٨-٣٥
الشاعر العربي القديم بين
جهوده ورواة شعره ..... د. زكي ذاكر العاني ٣٦-٤٦
مظاهر اللحن الخفي عند
علماء التجويد ..... حقي عبد الرزاق لطيف ٤٧-٥٨

شعر يوسف بن لؤلؤ الذهبي -
القسم الاول ..... تحقيق عباس هاني الجراخ ٥٩-٧٥

قرى ريف الموصل
مستدرك على معجم البلدان ..... يوسف الطوني ٧٦-٩٨
الكتب المحققة من مصنفات وترجمات
العالم الحكيم حنين بن اسحاق ..... فؤاد قزانجي ٩٩-١٠٤

الانوري وكتاباه الايضاح
والدستور ..... د. محمود الحاج قاسم ١٠٥-١١٦
الفصيح وشروحه ..... د. عبد الكريم عوفي ١١٧-١٣٣

إذ يتحدث محب كبير
علي جواد الطاهر .. مقالياً ١٩٩٦ م ..... قاسم عبد الامير عجام ١٣٤-١٤١

ما لذ وطاب ..... عرض : نجلة محمد مجيد ١٥٩-١٦٠

www.dorat-ghawas.com

دراسة تتابع الوحدات الصوتية عند ابن جني

(من ابحاث الندوة التخصصية عن ابي الفتح ابن جني)

بسم الله الرحمن الرحيم

" اقرأ* وربك الاكرم * الذي علم بالقلم*

علم الانسان مالم يعلم "

د.عبد المنعم آل ناصر
قسم اللغة العربية ـ كلية التربية
جامعة الموصل

الوحي ينزل على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ويأمره بأن يقرأ ويتعلم، ويصبح العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، يطلبوه ولو في الصين،فتنهض الحضارة العربية بناء شامخا اساسه قاعدة فكرية خالدة هي الاسلام فينطلق الفكر الانساني من قيود الجهل والتخلف ويروح يسعى وراء العلم والمعرفة.

مما يلفت النظر أن أول خطوة منهجية خطتها الحضارة العربية في ميدان العلم والمعرفة كانت في حقل اللغة فأبدع علماء العربية وشادوا صرحا علميا عملاقا ما يزال قادرا منذ نهضته حتى الان على مضاهاة احدث المناهج العلمية في دراسة اللغة. والاكثر لفتا للنظر أن تلك الخطوة الاولى كانت دراسة في النظام الصوتي للغة العربية حققها أبو الاسود الدؤلي رحمه الله حينما ادرك أهمية الحركات في بنية اللغة بكونها وحدات صوتية لها منزلة الحروف في المستوى الدلالي فهي تغير معنى الكلمة إن تغيرت. ولما كانت الكتابة العربية قبل الاسلام خلوا من رموز خطية للحركات تولى هذا العالم الجليل وضع أشكال خطية لتلك الرموز كما هو معلوم للجميع. وهكذا نرى أن الخطوة الاولى في النهضة العلمية العربية كانت دراسة في البنية الصوتية للغة فانطلقت بعدها علوم اللغة وبلغت ما بلغته من تقدم يشهد عليه تاريخ العلوم.

١- هناك في رأيي أربعة علماء هم الاعمدة الرئيسة في الدراسات الصوتية للعربية أولهم الدؤلي الذي على محدودية ما قام به، أدرك بحسه المرهف فكرة الوحدة الصوتية الاساسية التي تغير معنى الكلمة إن استبدلت بغيرها، وهي فكرة "الفونيم" التي جاءت بها اللسانيات الحديثة. وثانيهما هو العالم الخالد الخليل

www.dorat-ghawas.com

الظاهرة بقـــوله: "... وكان تضعيف الحرف عليهم أســـهل من تأليفه مع ما يجاوره..." (ص٨١٦).

ثم يذكر ابن جني "أن الشين لا تؤلف مع الضاد لما بينهما من التجاور والاستطالة" (ص٨١٧). يريد بالتجاور أن يكون في المخرج كما أن وصفه حـرفا بالاسـتطالة أن يكون مخرجه ذا امتداد في الفم. يجب أن ننتبـه إلى أن الضاد التي يذكرها ابـن جني تختلف عن الضاد التي ينطقـها العرب الان بشـكليها، الشـكل السـائد في شرقي جزيرة العرب واكثر مناطق الريف في بلادهم، وهي التي تماثل الظاء بصفاتها الصوتية؛ والشكل الاخر الذي ينطقـه اهل القـاهرة وبـعض حـواضر الحجاز وبـلاد الشـام ويخرجونها دالا مطبقـة. إن كلا الشكلين مختلف عن الضاد القـديمة التي وصفها سيبويه وابـن جني وجميع النحـويين العرب الاوائل والتي يدل وصفها على انها كانت صوتا رخوا منحـرفا مجهورا مطبقـا. ولا نكاد نجد احـدا من العرب ينطق هذه الضاد في وقـتنا هذا والله أعلم. لو كانت الضاد كما ننطقـــها الان في العراق لما امتنعت من التجاور مع الشين، كما في "شظية" و "شظى" و "شظف" وغيرها. إن العلاقـة الصوتية بـين الشـين والضاد القـديمة هي وجود تداخل بين مخرجيهما فصعب تجاورهما.

ثم إن استطالة الشـين وما فيها من صفة صفيرية جعلت ابـا الفتح يقـرر أن الشين لا تجتمع مع احد حـروف الصفير الثلاثة السـين والصاد والزاى إلا بشـرط أن تتقـدم الشـين عليها لانها "الاقـوى". ويؤكد على عدم جواز العكس (ص٨١٧)فماذا يقـصد بالاقوى؟ وما هو معيار القوة عنده؟ هذا ما سنحاول معالجته في القسم الثاني من هذا البحث.

وعلى نفس السـياق يقـرر ابـن جني أن اجتماع اثنين من أحـرف الطاء والتاء والدال يستوجب أن تتقدم الطاء والتاء على الدال، فهو يعد الطاء اقوى الثلاثة وبـعدها التاء أقـوى من الدال ويأتي لذلك بامثلة نحو "وتد" و "محتد" و "وطد"، وكذا الحال مع الظاء والثاء والذال لكنه لا يأتي لهن بمثل (ص٨١٨).

أما عن الراء واللام والنون فيجيز ابو الفتح تجاور اثنين منها بشـرط ان تتقـدم الراء على أي من الحرفين الاخرين لانها أقـوى منهما ومرة اخرى يذكر ابـن جني مصطلح القـوة فيعد الراء أقوى من النون ومن اللام وكان سبق ان ذكر شيئا عن سبب هذه القوة في مكان سابق من هذا الفصل بقـوله: "... فاذا وقـفت على الـراء وجـدت الصوت هنـاك مكـررا، ولذلـك اعتـدت في الامالـة بحرفين، وإذا وقـــفت على اللام وجدت في الصوت لينا وغنة." (ص٨١٤). ثم يأتي بـــأمثلة تتقـــدم فيها النون على الراء كقـــولهم: "دنر يدنر" بالتشـديد (دنر الوجه أشـرق وتلالا كالدينار، ودنر الذهب ضربـه دنانير) ويبرر ذلك بتشديد النون "فقـويت بـذلك" (ص٨١٨). لكنه يستبعد تطبـيق هذه القـاعدة على كلمة "الخلر" بالتشـديد بـدعوى أنها اسـم أعجمي "وإنما كلامنا على اللغة العربـــية" (ص ن). وحقيقـــة الامر أن هذه الكلمة تخضع لنفس القـاعدة فكما تسبـق النون المشـددة الراء سبقـــت اللام المشـــددة الراء فهو قـــانون صوتي شمولي فلولا التشـديد في النون واللام لصعب أن تتقـدم إحـداهما على الراء. وكذلك نلاحظ سيبويه يقرر هذه القاعدة ويقول: "...وذلك أنه ليس في الكلام مثل قـــــنر وعنل." (الكتاب، ج٢، ص٤١٦). إن في مجيء النون بـــعدها لام أو راء مشقـــة لذا ندر أو انعدم ذلك في العربية.

٣ ـ التعليل

٣ - ١ نلاحـــظ إن عند ابـــن جني ميلا ظاهرا الى إيراد التعليلات للظواهر اللغوية محاولا جهده أن يفسـر للدارس كيف ولماذا. كما نلاحـظ عنده ميلا لاسـتعمال معايير اجتماعية في تبريره وتفسيره للسلوك اللغوى فهو يردد لفظتي الحسن والقبـح ومنهما الاستحسان والاستقباح.

يقول ابو الفتح في: "باب في تدافع الظاهر" ما يأتي:

"...فمن ذلك استحســـانهم لتركيب ما تبـــعدت مخارجه من الحروف...واستقباحـــهم لتركيب ما تقـــارب من الحروف "(الخصائص ج٢، ص ٢٢٧) كما يقـول في بـاب ذكر علل العربـية اكلامية هي أم فقـــهية: (...اعلم أن واضع اللغة لما أراد صوغها وتركيب أحـوالها هجم بـفكره على جميعها وراى بـعين تصوره وجوه جملها وتفصيلها وعلم أن لا بـد من رفض ما شـنع تألفه منها" (م ن، ج١، ص ٦٤).

www.dorat-ghawas.com

ويكرر الرأي نفسه بقوله: "كما نفوا عنهم ما قبح تأليفه" (ص ٦٥). ان ابن جني في تبنيه معياري الحسن والقبح إنما يسير على هدي ما فعله سيبويه قبله حين ذكر في بدايات كتابه في باب الاستقامة من الكلام والاحالة أن من الكلام: "مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب" (الكتاب، ج١، ص٨).

ما هي الاسس التي اعتمدها ابن جني في استعماله معايير القبح والاستقباح والحسن والاستحسان؟ هناك أدلة متعددة على ميله إلى حقائق الطبيعة في تفسير السلوك اللغوي وابرز هذه الحقائق السليقة اللغوية الطبيعية فهناك حقائق صوتية نطقية لا لايمكن إن نتجاوزها لان لكل عضو من أعضاء النطق محدوديات حركية سببها بنيته العضوية وقدرة المتكلم في السيطرة عليه والعلاقة بين الجهازين العظلي والعصبي وامور اخرى كثيرة لا مجال لتفصيلهاالآن. غير أن ابن جني يعبر عن مدى إدراكه لهذه الحقائق بذكر الظاهر منها مع إنه يحاول الاخذ بيد الدارس إلى السبيل السهل الذي يساعده على إدراك هذه الحقائق فلقد رأيناه يبين كيف ان المتكلم، وقد عبر عنه مجازا بأنه "واضع اللغة" يهجم بفكره على جميعها. ويرى بعين تصوره وجوه جملها "، فها هو يبدأ بالفكر، ونعلم أن اللغة وليدة الفكر، فيعزو إليه القدرة على معرفة مجمل ما يمكن وما لا يمكن واختيار الحسن واستبعاد القبيح. ثم يقول عن عمل الفكر الانساني أنه "الحس" عند مستعمل اللغة مشيرا عليه بما يقبل وبما يرفض، فيقول في تعليله لاهمال ما اهمل: "...وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والمشقة على النفس" (الخصائص، ج١، ص ٥٤-٥٥). كما يذكر في سر الصناعة أن: "الحس أعدل شاهد" في سياق تعليله لظاهرة معينة في الامالة (ص ٨١٧).

لماذا ينفر الحس من أشياء فيستقبحها، ويقبل على أشياء غيرها فيستحسنها؟ هناك قوانين معقدة ومتغيرات متعددة في ظاهرة اللغة الانسانية ليس من السهل فيها في بحث متواضع كهذا فهي تختلف بين أمة وأخرى وزمان وآخر ومكان ومكان. فهناك ألفاظ وتراكيب صوتية يقبلها الهندي ويرفضها العربي وامور يستحسنها العربي فيكثر منها وتثقل على الفرنسي فيستبعدها وعند صاحبنا محاولات لمعرفة ما يسبب الاستحسان أو الاستقباح في التراكيب الصوتية للعربية.

٣-٢ يقول أبو الفتح في سر الصناعة "أن حروف المعجم تنقسم على ضربين ضرب خفيف وضرب ثقيل..." (ج٢، ص ٨١١). إن من طبيعة المتكلمين على العموم أن يخففوا من كلامهم اقتصادا في الجهد وفي الوقت وهذه طبيعة عامة عند البشر، ومع ذلك فهناك ظواهر معينة تشير إلى ميلهم أحيانا إلى تعقيد اللفظ وتثقيله لا إلى تسهيله، غير أن التسهيل أكثر من التثقيل وفي ذلك يقول ابن جني أن من طبيعة العربي "التماس الخفة" (الخصائص، ج ١، ص ٧٦)، كما يذكر كذلك أنه يجنح إلى الاستخفاف ويهرب من الاستثقال (م ن، ص ٧٨) ولقد قرأنا له فيما مر أنه يربط بين "نفور الحس" عن الثقيل وبين المشقة على النفس لتكلفه (ص ٥٤). وهذا يفسر لنا السبب في اختيار العرب لحروف الزيادة التي ذكرنا أنها أخف من غيرها.

إن التماس الخفة مبدأ لغوي شمولي يظهر في جميع اللغات، ليس فقط في قواعد ترتيب الاصوات بل في ظواهر التماثل والحذف والاضافة وقوانين الصرف والنظم النحوي، وقد أشار اليه سيبويه في الكتاب عند بحثه ظواهر المماثلة وتقريب الحرف من الحرف (ج٢، ص ٢٥٩).

ما الذي يجعل الحرف ثقيلا أو خفيفا؟ هناك عوامل معينة في ذلك أهمها الصفات الصوتية الذاتية للحرف، فالشديد أثقل من الرخو والمطبق أثقل من المنفتح والمستعلي أثقل من المستفل والواو أثقل من الياء وهما أثقل من الالف، إن هذه الصفات الصوتية وليدة العمليات النطقية التي يحتاجها إخراج الحرف فكلما تعددت وتعقدت الحركات العظلية التي يجب تنفيذها لاخراج الحرف كلما زاد ثقله فالخفة والثقل إذا نتائج لحقائق صوتية نطقية ARTICULATORY PHONETICS. وفي ذلك قول واضح لسيبويه حين يصف الالف بالخفة ويفسر ذلك بقوله "... وإنما خفت الالف هذه الخفة لانه ليس منها علاج على اللسان والشفة "(الكتب، ج٢، ص ٢٥٧).

وهناك عامل آخر يتعلق بالعلاقة بين الحروف في الكلام المتصل والمحدوديات التي يفرضها النظام الصوتي للغة على هذه

www.dorat-ghawas.com

العلاقة فالعربية لا تقبل البدء بساكن بينما الانكليزية مجيء ساكنين في بداية الكلم وبموجب شروط معينة. كما أن لذوق الامة في كلامها وميل المتكلم إلى نمط معين في موسيقى لغته دورا مهما في شيوع أنواع معينة من الاصوات اللغوية واستبعاد انواع أخرى في الكلام؛ ففي العربية مثلا صنف قائم بذاته من الاصوات تسمى المطبقة لها وظيفتها المتميزة في النظام الصوتي وهناك لغات تختفي فيها الاصوات المجهورة ويقتصر ما يحتويه نظامها الصوتي على المهموس من الاصوات الصحيحة.

٣-٣ وبعد وضع قواعد عن الحسن والقبح، والاستحسان والاستقباح في الجمع بين الحروف وبناء هذه القواعد+ على أسس من الخفة والثقل يتوصل ابن جني إلى استنتاج يفسر به الشروط التي تتحكم في ظاهرة ترتيب الحروف في الالفاظ يعتمد على مدى القرب بين مخارج الحروف المتجاورة. يقول في سر صناعة الاعراب عن حروف الذلاقة، وهي اللام والراء والنون والفاء والميم والباء: "... واعلم أن هذه الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما" (ج١ ص ٦٥)، كما يذكر في الخصائص في "باب تدافع الظاهر" استحسانهم لتركيب ما تباعدت مخارجه من الحروف (ج ٢، ص ٢٢٧)، ويكرر نفس المبدأ عندما يقرر أن العرب ترفض استعمال ما تقاربت حروفه نحو سمى و ظث (م ن، ص ٥٤). ويقول أيضا في سر الصناعة: "... متى تجاور مخرجا الحرفين فالقياس ألا يأتلفا" (ج ٢، ص ٨١٤). في هذه المقولات الاربع يقرر ابن جني أن تقارب مخارج الحروف يدعو الى استبعاد تجاورهما في الكلام إلا بفاصل أو فيما يقل استعماله. من المعلوم أن مخرج الحرف هو أحد صفاته الصوتية وهناك صفات أخرى قد يكون لها اثر أيضا في استحسان أو استقباح تجاور حرفين في الكلام، مثل الجهر والهمس، والرخاوه والشدة، فالسين والصاد من مخرج واحد غير أنهما يختلفان في صفات أخرى فالسين منفتحة مستقلة والصاد مطبقة مستعلية لكنه يقول أنهم أهملوا سمى و ظث لتقارب مخارج الحروف فيهما بينما يختلف الحرفان في كل منهما في صفات أخرى وليس في المخرج. فمخرج الحرف إذا ليس العامل الوحيد في القرار على حسن او قبح تآلف الحروف بل تدخل في ذلك بقية الصفات، لا يغفل ابن جني عن ذلك ونقرأ له قوله: "... وإذا اختلفت أحوال الحروف حسن التأليف" (م ن ص ٥٧)، وأحوال الحروف هي مجمل صفاتها الصوتية وليس مخارجها فقط، وله رأي مشابه أخر يقول فيه: "... فكما يحسن تآلف الحروف المتفاوتة كذلك يحسن تتابع الاحوال المتغايرة" (م ن، ص٥٩).

٣-٤ غير أن اللغة لا تخلو تماما من تتابع حرفين متجاوري المخرج سواء كان ذلك في كلمة واحدة أم بين كلمتين متتاليتين، والذي يهمنا في هذا البحث هو تتابع الحرفين في الكلمة الواحدة لانه الاصل في بنية اللغة، فما هي القوانين التي تتحكم في هذا السياق ماذا يقول ابن جني في ذلك؟

يقول في الفصل موضوع البحث ما ياتي:

"... متى تجاور مخرجا الحرفين فالقياس ألا يأتلفا. وإن تجشموا ذلك بدأوا بالاقوى" (٨١٤). ويكرر هذه القاعدة في قول آخر له: "... فينبغي إذا تدانى الحرفان أن يبدأ بالاقوى منهما فيعتمد عليه ويتلوه الاخر تبعا له" (٨١٨).

وهناك في "الخصائص" رأي مشابه يقول فيه: "... وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الاقوى منهما" (ج١، ص ٥٤) إن صاحبنا مدرك لصعوبة تآلف حرفين متجاوري المخرجين فيصف ذلك بالتجشم، ويقرر أن الشرط في تجاورهما أن يسبق الاقوى منهما الاضعف في الوحدة اللغوية غير أن هذه الاراء لا تجعل الامر مقتصرا على تقارب المخارج بل تتجاوزها إلى الصفات الاخرى كما سنرى لاحقا. أمامنا أمران يراد لهما توضيح في هذا المجال، أولهما أي من الحرفين أقوى من الاخر؟ وثانيهما باي معيار يقيس أبو الفتح قوة الحروف؟

٣-٤-١ لا يقدم لنا أبو الفتح وصفا كاملا أو سلما شاملا يرتب فيه الحروف بحسب قوتها كما يراها بل نجد إشارات محدودة عن ذلك في كتابيه، ففي سر الصناعة يقول أن الراء أقوى منا للام ومن النون (ج ٢، ص ٨١٤، ص ٨١٨)، والتاء اقوى من الدال (ص ٨١٤)، كما يقول في الخصائص أن الراء أقوى من اللام وأن الطاء والتاء أقوى من الدال (ج ١، ص ٥٤)، والهمزة أقوى من الهاء ومن العين (ج ٢، ص ١٤٦) لم تلتفت اللسانيات الحديثة إلى

www.dorat-ghawas.com

تصنيف الاصوات اللغوية في سلم حسب قوتها إلا في الفترة الاخيرة حيث ظهرت في أعمال بعض المحدثين مثل فولي (FOLEY ١٩٧٧) وهوبر (J B HOOPER ١٩٧٦) وغيرهما محاولات لوضع جداول للاصوات اللغوية مرتبة حسب قوتها استنادا إلى صفاتها الصوتية او وظيفتها الصوتية الصرفية؛ ونجد تشابها بين نظرة ابن جني لقوة الحروف وما جاء في مؤلفات علماء اللغة في الغرب ممن ذكرناهم وغيرهم من أتباع المنهج الطبيعي في الدراسات الصوتية في اللغة (NATURAL PHONOLOGY).

٣-٤-٢ يحاول ابن جني تفسير أسباب القوة في الحروف فيأتي بعدد من الاراء بهذا الشان، يقول ابو الفتح:

"إذا وقفت على الراء وجدت الصوت هناك مكررا ولذلك اعتدت في الامالة بحرفين" (سر الصناعة، ج ٢، ص ٨١٤) ويقول أيضا أن الحرف المكرر أقوى من غيره (ص ن). ومثلما يعد الراء كحرفين يرى كذلك أن الحرف المشدد أقوى من غيره ويقول: "التشديد يقوي الحرف" (م ن، ص ٨١٨) فيقبل أن تسبق النون المشددة الراء في "دنر" مع أنه يعد الراء أقوى من النون، ثم يفسر ضعف اللام بأن فيها "ليناوغنة" (ص ٨١٤)، كما نراه يقرر في الخصائص أن الراء أقوى من اللام لان "القطع عليها أقوى من القطع على اللام" (ج ١، ص٥٤) ويرى كذلك ان الطاء والتاء أقوى من الدال " لان جرس الصوت بالتاء والطاء عند الوقوف عليهما أقوى منه وأظهر عند الوقوف على الدال (م ن، ص٥٤-٥٥). يدعونا ابن جني إلى الاحساس بقوة الحرف عند الوقوف عليه ولا شك أن الوقوف على الحرف يبرز صفاته الصوتية أحسن مما لو وصلناه بما بعده فيتأثر الحرف بالحرف يدعونا فينتج عن ذلك شيء من المماثلة حيث يكتسب حرف من حرف صفة أو أكثر. كما يلتفت ابن جني إلى بعد آخر في الصفات الصوتية فهو إلى جانب اعتماده بصورة رئيسة على الصفات الصوتية النطقية ARTICULATORY نراه يذكر صفة صوتية سمعية AUDITORY حينما يشير إلى ما يسميه "جرس الصوت" وهو الاثر الذي تتركه الصفات الصوتية في حاسة السمع ويصف ذلك الاثر بأنه في الطاء والتاء "إقوى وأظهر".

ثم حاول أن يأتي بتفسير صوتي نطقي لقوة الحروف يجمع فيه بين صفتي القوة والثقل ليبرر تقديم القوي الثقيل على الضعيف الخفيف فيقول:

"... أنهم إنما يقدمون الاثقل ويؤخرون الاخف من قبل أن المتكلم في أول نطقه أقوى نفسا وأظهر نشاطا" (الخصائص، ج١، ص ٥٥). إنها ملاحظة دقيقة وصائبة سبق بها آراء مشابهة في علم الصوت الحديث.

٤. استنتاجات

يظهر مما أسلفنا أن اجتماع الحروف في اللفظة الواحدة وتألف الواحد منها مع الاخر أو تنافره أمور تخضع لقوانين صوتية تعود لاسباب نطقية تتعلق بالمحدوديات الالية لعظلات جهاز النطق وقدرة الجهاز العصبي في السيطرة عليها بصورة منتظمة سلسة كما تتعلق كذلك بقدرة السامع على تمييز الاصوات المتتالية في اللفظة، يعبر ابن جني عن هذه الحقائق بالجملة الاتية التي تفسر إيثار المتكلم لتباعد الاصوات:

"... إذ كان الصوت مع نقيضه أظهر منه مع قرينه ولصيقه" (الخصائص، ج ٢، ص٢٢٧). أحسن صاحبنا التعبير والاشارة إلى التناقض بين الاصوات المتجاورة كشرط لحسن تألف الاصوات. ومنه نستطيع أن نقرر قانونا يصلح أساسا لفرضية في علم الصوت وهي أن من اللازم أن يكون بين الحرفين المتجاورين في الكلام حد أدنى من التناقض أو التضاد في الصفات الصوتية ليسهل على جهاز النطق إخراج اللفظة ويسهل كذلك على جهاز السمع التمييز الواضح بين الصوتين.

ونجد أوضح مثل لتطبيق هذا القانون في البنية المقطعية للغة فأبسط المقاطع اللغوية، والذي يوجد في جميع اللغات، هو المقطع القصير المفتوح المتكون من صوت صحيح تتبعه حركة، والذي يتمثل أحسن ما يكون في الحرف المتحرك في العربية لان هذا الشكل من المقاطع يتألف من عنصرين صوت صحيح CONSONANT وحركة VOWEL وهما الصنفان الرئيسان في الوحدات الصوتية اللغوية حيث يظهر بينهما القدر الاكبر من التضاد CONTRAST لذلك يمثل هذا المقطع أمثل

www.dorat-ghawas.com

شكل في البنية الصوتية للغة حيث يظهر كل من العنصرين أوضح ما يكون إلى جانب العنصر الاخر، وهذا قانون طبيعي في علم الجمال.

والضد يظهر حسنه الضد

من هذا القانون الطبيعي حدثت العمليات الصوتية المختلفة من تماثل ومخالفة وما ينتج عنهما من إدغام وإقلاب وإخفاء وحذف وإضافة وغير ذلك ولنأت بامثلة على ذلك من اللغة:

قلنا إن أحسن ما ياتلف الصوتان المتجاوران أن يكونا مختلفين في صفاتهما فإذا تجاور صوتان ولم يتوفر بينهما المقدار الكافي من التضاد فماذا ستكون النتيجة؟ في الكثير من الاحوال يهيمن أحد الصوتين على الاخر ويضفي عليه صفة أو أكثر من صفاته وقد يحدث أن يؤثر الواحد منهما في الاخر، وتسمى هذه العملية الصوتية التماثل ASSIMILATION والتي يعرفها علم الصوت بأنها حالة ياخذ فيها صوت صفة أو أكثر من صوت آخر، مثل ما نراه في حالات معينة من الادغام في العربية حينما يتغير صوت فيصبح مثيلا أو شبيها بصوت مجاور له بموجب قوانين صوتية ثابتة. ولا يقتصر التماثل على الصحيح من الاصوات بل تشمل أيضا أصوات اللين أو الحركات مثلما في ظاهرتي الامالة والاتباع. هذا شرط أن لا يؤثر التماثل على المعنى.

أما إذا أريد ألا يدغم الحرفان المتجاوران لسبب يتعلق بالمعنى أو لسبب آخر لجاء المتكلمون إلى أمور معينة تحقق المعنى ولا تخل بالقوانين الصوتية. فقد يستبدلون أحد الحرفين المتجاورين. بحرف يضمن توفر الحد الادنى من التضاد الصوتي، وتسمى هذه العملية "المخالفة DISSIMILATION" أو أن يضيفوا حرفا يفصل بين الحرفين المتقاربين لتتوفر فرصة لتحقيق درجة من التضاد بين الحروف.

وردت في العربية حالات معينة من المخالفة منها قولهم "الطجع" في "اضطجع" حينما وجدوا أن تجاور الضاد مع الطاء، وهما حرفان مطبقان متجاورا المخرجين، يؤدي إلى صعوبة في النطق وفي السمع. كما في قول الراجز:

يارب أباز من العفر صدع

تقبض الذئب إليه واجتمع

لما رأى أن لا دعه ولا شبع

مال إلى أرطاة حقف فالطجع

(الخصائص، ج١، ص٢٦٣).

وقد ورد هذا المثل في الابدال عند سيبويه الذي فسره بكراهة التقاء المطبقين (ج ٢، ص ٤٢٩).

أما عن حالة إضافة حرف يفصل بين الحرفين المتقاربين فأكثر ما يكون في الكلمات الاعجمية تدخل العربية ولها بنية صوتية تخالف بنية العربية وبخاصة أسماء العلم. ومن الاسماء الحديثة التي تعرضت لهذا التغير اسم العلم الاعجمي "هنري" فلفظة بعضهم بالادغام فقال "هري" ولفظه اخرون بالاقلاب فقالوا "هرني" ولجأ بعض الى إضافة دال بين النون والراء فقالوا "هندري".

وهناك حالات يفصل فيها بين المتجاورين بسكتة قصيرة لتحجز بينهما فلا يؤثر احدهما في الاخر فيغيره فيختل المعنى مثلما يسكت المقرؤون على اللام في "بل ران" ليفصلوا بين اللام والراء فلا يكون إدغام.

يبدو أن الحروف تسلك أحيانا سلوك الاقطاب المغناطيسية فإذا تقارب قطبان متماثلان تنافرا وإذا كانا مختلفين تجاذبا وتآلفا وسبحن الذي علم الانسان ما لم يعلم.

مراجع البحث

١. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ثلاثة أجزاء، تحقيق محمد علي النجار، بيروت، دار الكتاب العربي:١٩٥٧.

٢. ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، جزآن، تحقيق الدكتور حسن هنداوي: دمشق، دار القلم: ١٩٨٥.

٣. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، جزآن، بولاق

٤. أوديشو، أدور يوحنا، ١٩٧٩.

THE SUN OR MOON STATUS OF ARABIC "ج" A DESCRIPTIVE VIEW.

مجلة الجامعة المستنصرية، العدد٤، ١٩٧٨- ١٩٧٩.

www.dorat-ghawas.com